

## أدوار تربوية في حياة الأم المسلمة



### التعليم بالمحاكاة والقُدوة والتلقّي

مهما تعددت المسؤوليات والأدوار الخاصة بالمرأة، فإن دورها كأُم يظل هو الدور الأكثر قيمةً وتفرداً. فهذا الدور العظيم يشمل تربية أطفالها وتنشئتهم تنشئة سليمة، وتحصينهم بكلِّ خُلُقٍ وفضيلة ومدِّهم بكلِّ مدد طيب وكريم، وإحاطتهم بكلِّ رعاية وعناية وتهيئتهم لمواجهة الحياة.

إنَّ المرأة الصالحة تعي مسؤولياتها في تربية الأبناء التربية السليمة، وتعي مختلف الأدوار التربوية الإيمانية والأخلاقية، والمجتمعية والنفسية والصحية، التي يتعيَّن عليها القيام بها قولاً وعملاً في سبيل تربية أبنائها وبناتها.

حيث بدأت إيمان إسماعيل، حديثاً عن تلك الأدوار التربوية، بأنَّ التربية هي مسؤولية الأسرة المسلمة تجاه أبنائها وبناتها، وتحمل الأُمُّهاات الجانب الأعظم من تلك المسؤولية التي تُعدُّ أحد الحقوق الشرعية، التي منحها الإسلام الطفل المسلم، وهذا حقه في أن يحظى بالتعليم والتوجيه من جانب الأهل. وفي ما يتعلق بالتربية فقد أشارت إلى أنها تبدأ منذ اللحظات الأولى التي تعقب ولادة الطفل، وذلك باستفتاح الأُم، أو غيرها، في أذن الطفل الوليد بكلمات الأذان اقتداءً بسنة رسول الله (ص). بعد ذلك تبدأ مرحلة التربية الإيمانية بالمشاهدة والملاحظة والمحاكاة من قبل الطفل. وبما أنَّ التوحيد هو الأساس في عبادة الله سبحانه وتعالى، فينبغي أن يعرف الطفل بوحدانية الله سبحانه في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته حتى يعبد الله على الوجه المشروع الذي أراده الله عزَّ وجلَّ، كما تقوم الأُم بتعريف أطفالها بالسيرة النبوية العطرة. فإذا بلغ الولد سن السابعة ينبغي على الأُم أن تعلمه مراتب الدين وهي: الإسلام فالإيمان فالإحسان، وتأمُر أولادها بالصلاة بنين وبنات وتدريبهم على أدائها، وتعلمهم الأحكام المتعلقة بالطهارة والصلاة.

كما وضحت الأخت إيمان إسماعيل أن مسؤولية التربية الأخلاقية تأتي في المقام الثاني من المسؤوليات التربوية في المنزل، وتحمل المرأة المسلمة القسط الأكبر من هذه المسؤولية، التي تتضمن تربية الأبناء والبنات على الصفات الحميدة والخصال النبيلة مثل الصدق، الأمانة، حفظ اللسان، احترام الكبير وغيرها من الصفات الحسنة التي يجب أن يتم إدراجها ضمن التربية الأخلاقية للطفل لأهميتها في تكوين شخصية المسلم.

ففي مجال الصدق والأمانة، على سبيل المثال، ورد عن عبيد بن مسعود (رض) عن النبي (ص) أنَّهُ قال: "إنَّ الصدق يهدي إلى البرِّ وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنة، وإنَّ الرجل ليصدق حتى يكون صِدِّيقاً وإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور وإنَّ الفجور يهدي إلى النار، وإنَّ الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً" (صحيح البخاري). وعن أبي هريرة (رض) أنَّ النبي (ص)، قال: "آية المنافق ثلاثٌ إذا حدثَ كذَّبَ، وإذا وعَدَ أخلَفَ، وإذا اتُّمِّنَ خَانَ" (صحيح البخاري). لذلك، فإنَّ الأسرة المسلمة مسؤولة أمام الله سبحانه وتعالى، عن ترسيخ الخصال الحميدة في سلوك أفرادها، سواء أكانوا كباراً أم صغاراً، لأنَّ هذه الصفات النبيلة هي الباعث على استقامة السلوك، والسبب في تبيدات القيرم.

#### مسؤولية القدوة:

إنَّ التربية الأخلاقية داخل الأسرة، تتطلب تعويد الأطفال على الصدق في كلِّ قول وفعل، مهما صغر أو كبر، وعلى الراشدين والراشدات تقع مسؤولية القدوة في ذلك وفي هذا الجانب بيِّن المصطفى (ص) أدنى درجات الكذب مع الأطفال، فقال في الحديث الذي رواه أبو هريرة (رض): "مَنْ قال لصبي: تعال هاك، ثمَّ لَمْ يعطِه شيئاً، فهي كذبةٌ" (صحيح الألباني). ولهذا الحديث الشريف، شاهد من حديث عبيد بن عامر (رض) أنَّهُ قال: أتى رسول الله (ص) في بيتنا وأنا صبي، قال: فذهبت أخرج لألعب، فقالت أمي: يا عبيد، تعال أعطيك. فقال رسول الله (ص): "ما أردت أن تعطيه؟" قالت: أعطيه تمرّاً. قال: فقال رسول الله (ص): "أما إنك لو لم تعطه شيئاً كُتبتُ عليك كذبةٌ".

وأما الأمانة فشأنها عظيم، حيث جاءت في كتاب الله متضمنة الدين كله بأوامره ونواهيه، قال تعالى: (إِنَّ زَيْناً عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) (الأحزاب/ 72). وقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَيْهِمْ أَهْلِيهَا... (النساء/ 58). وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ تَعْلَمُونَ) (الأنفال/ 20). والصدق من مشتقات الأمانة ومُتمماتها، حيث جاء الحديث عن الأمانة، مُقترناً بالصدق في أحاديث رسول الله (ص) حيث جُعِلَ من علامات إيمان صاحبها الملتزم بها، ومن علامات النفاق لتاركة والمتخلّي عنه.

وكذلك فإنَّ تربية اللسان على الألفاظ الحسنة واجتناب الألفاظ السيئة، من مكارم الأخلاق التي حثَّ عليها الإسلام في مصدرية الكتاب والسنة، حيث وكَّل الله سبحانه وتعالى بعبد مَلَكَ كَيْدٍ، أحدهما يكتب الحسنات والآخر يكتب السيئات، وقد أحاط الله بعبد علماً بذلك، كي يجعل من نفسه رقيباً عليها، فقال تعالى: (مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) (ق/ 18).

ومن التربية الأخلاقية للأبناء والبنات، توجيههم نحو اختيار الرِّسِّ فَقَّة الصالحة وتجنُّب الرفقة السيئة. فقد روى البخاري عن أبي موسى (رض) عن النبي (ص) أنَّهُ قال: "مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ كَمَا مَلِ الْمَسْكُ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلُ الْمَسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِرَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَدْبِقَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحاً خَبِيثَةً".



